تحت المجهر

▪ د. معتز محي عبد الحميد

إشكالية المهنة.. وعدم البوح بها

سمعت نكتة تقول: إن حمالا في محطة السكك الحديد تقدم لخطبة فتاة، فسأله أهلها عن عمله، فقال: انا مساعد مسافر في وزارة المواصلات ...! ونكتة أخرى حول تاجر مخدرات قال لأهل خطيبته: انه خبير في التكييف ! هذه النكات وغيرها تعبر عن خجل البعض من مهنتهم او وظائفهم وعدم مقدرتهم على البوح بها ، خوفا من تقاليد المجتمع من هذه المهن ونظرتهم الدنيوية لها، والحقيقة أن كل وظيفة تعتبر مهمة ما دامت شريفة ونافعة، بطبيعية الحال ثمة وظائف ومهن قد تتعارض مع قيم المجتمع الدينية والأخلاقية، مهنة (البغاء) – مثلا – تعتبر أقدم مهنة في التاريخ .

ولكن ذلك لم يشفع لها لتتخلص من وصمة العار التي تلاصقها في المجتمعات كافة قديما وحديثا، البعض يتخذ من السرقة والرشوة مهنة، وقد تكون لها مقومات المهن من حرفية عالية وذكاء ومعرفة، بل حتى أخلاقيات ، بمعنى أخلاقيات تنظم العلاقة بين اللصوص ، من بينها العهد غير المكتوب الذي يمنع اللص من خيانة زملائه أو الوشاية بهم ، ولكن ذلك لا يجعل منها مهنة شريفة . وتذكرني هذه العهود بحكاية امرأة متزوجة من شرطي أكثر أصدقائه من الحرامية لا تشاهده إلا بعد منتصف كل ليلة يأتي مخمورا ... وعند الصباح تطربه بمقطع أغنية مشهورة (شرطي وملابسه خضر ... من شفته شفت كل الفوكر !) .. وفي لقاء راقصة عربية احتجت عن تسمية (رقاصة) وهو الاسم الدارج الذي يطلقه الناس على من تعمل بهذه المهنة في بلدها ، فاستفسر مقدم البرنامج عن التسمية التي تراها مناسبة فقال : راقصة ! جهل تلك الراقصة باللغة العربية جعلها لا تدرك أن الكلمتين صنوان إذا نطقت الأولى باللهجة الدارجة والثانية بالفصحى! ذلك على غرار أن يعترض (الحزازين في ليبيا) و (الجزمجية) في مصر و(القندرجية) عندنا في العراق على تسمياتهم ويطالبون باستخدام كلمة (اسكافي) و (اسكافيون) بدلا منها ! فلو تغاضينا عن كونها أسماء مترادفة ، فهل تغير اسم المهنة من حقيقة صفتها ؟ وهل الشكل يغير المضمون ؟ احد مقدمي البرامج في فضائية يعترض على تسمية مذيع أو مقدم برامج ويطالب بأن ينعت بلقب محاور ، ربما كان يعتقد أن كلمة مذيع تقلل من مكانته ، أما محاور فهي كلمة (ضخمة) تضيف عليه مهابة وجلالا وأهمية . مقدمة برنامج من فضائية عربية تنبري للفتوى ... سألت ضيفها (الذي اخرج من السجن لتوه بتهمة رشوة وفساد إداري وتبييض أموال) متى أطلقت لحيتك ؟ فاخبرها انه فعل بمجرد أن عرف أن ترك اللحية واجب على المسلم، فلم تترك الأمر يمر بسلام ، بل التفتت إلى المشاهدين وحذرتهم من أن ذلك غير صحيح ولا يحب على المسلم إطلاق لحيته! في فضائية أخرى دينية تعنى بالتفسير وتعليم تلاوة القرآن وشرح معانيه قرأ احدهم الآية الكريمة (فأما الذي شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق) فتطوع احد الضيوف شارحا إن الشهيق هو صوت الحمار ! أما تلاوته فكانت اقرب إلى الغناء منها إلى الترتيل الصحيح ... ما أسهل اطلاق الاسماء الرنانة في بلدنا على من لا يستحقونها ! مع احترامي الشديد لكل المهن الشريفة وأصحابها ، ارى ان على كل صاحب مهنة ان يفتخر بمهنته ويعتبرها شرفه! لا ينبغي لنا ان نسمي كل من لبس عمامة شيخا ولا الموظف أستاذا، ولا المؤذن عالما ، ولا المشعوذ فقيها ولا الفلاح مهندسا زراعيا ولا المرض دكتورا والفني خبيرا.

لله در الشاعر الذي قال:

مما يزهدني في ارض أندلسي أسماء معتمد فيها ومعتقد
ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد

بسبب إهمال إدارة المدرسة

مشاجرة بين تلميذين.. تتحول إلى فصل عشائري

□ بغداد/ المدى

تلميذان صغيران.. الأول في الرابع والثاني في الخامس ابتدائي ... تشاجر التلميذان في ممر المدرسة وساحتها في غياب المعلمين ... كان صراخهما يعلو ولا احد يتحرك من المعلمين لاستطلاع الأمر !... يتطور الأمر ... يلتقط احدهما عصا صغيرة من على الأرض وفي لحظة يغرسها في عين الآخر ... وينتبه احد المعلمين الى الكارثة ولكن بعد فوات الأوان ... ضاعت عين حسان ... سيناريو غريب كان من الممكن ألا يحدث لكنه الإهمال الذي أصبح سمة مدارسنا ! ماذا حدث داخل المدرسة الابتدائية .. نجيب عنه الآن في هذه السطور – حسام – تلميذ في الصف الرابع الابتدائي في مدرسة من مدارس الشعب لم يتعد عمره العاشرة ... محبوب من أسرته وبين زملائه ، إلا انه مثل كل الأطفال كان كثير الحركة واللعب والشجار ... ما أثار الخوف في نفس والديه أن يموت الحلم في رؤيته مهندسا او مدرسا .. لكن هذا الحلم الجميل تحول إلى كابوس مفزع ... بعد أن اصبح حسام ضحية زميله ... نشبت بينهما مشاجرة داخل المدرسة كادت تودي بحياته ... لكن الغريب أن جميع المعلمين شاهدوا التلميذين وهما يتشاجران دون أن يتحرك احد منهم لفض النزاع وعقابهما معا ! يوم الحادث خرج حسام من منزله متوجها إلى المدرسة ... حاملا معه حقيبته المدرسية ... نصائح الأم لابنها ... أن يكون مهذبا وعاقلا داخل المدرسة وان يعود نظيفا للبيت بعد انتهاء دروس المدرسة ، واستجاب الابن لكلام امه التي قبّلت ابنها قبل أن ينصرف الى المدرسة ! عندما وصل حسام الى المدرسة دخل الى صفه وأكمل الدرسين الأول والثاني بعدها خرج مع بقية التلاميذ الى الساحة للاستراحة واللعب ومثل كل التلاميذ ظلوا يلعبون داخل الساحة ... لحظات وتحدث مشادة كلامية بين حسام وتلميذ بالصف الخامس وبدلا من أن يتدخل احد لفضها من المعلمين او التلاميذ الآخرين ... ظلوا يراقبون الموقف حتى تشابك التلميذان بالأيدي ... وتبادلا الضربات واللكمات ... بعدها قام احمد بإحضار عصا ودون أن يقصد غرسها في عين زميله حسام ثم فر إلى صفه راكضا ... فجأة تدوي في الساحة أصوات صاخبة وضجيج وصراخ وبكاء ... وعندما ذهب بعض التلاميذ لمصدر الصوت وجدوا حسام وقد غرست العصا في عينه اليمنى والدماء تسيل منها ... ظلت العصا بالعين دون ان يعلم احد من المعلمين او المدير او معاونيه ما حدث ... حتى قام احد التلاميذ بجذب العصا من عين حسام الذي سقط على الأرض مغشيا عليه ! بعدها قام التلاميذ بحمله وذهبوا به الى غرفة المدير ... فأرسله بصحبة احد المعلمين الى المستوصف القريب من المدرسة دون ان يخبر اسرته بذلك ... حتى شاهده احد الجيران وهم يحملونه بسيارة المعلم والدماء تسيل منه ... فاسرع وابلغ اهله بما حدث ... هرولت الأم على الفور الى المدرسة ... تقابلت مع مدير المدرسة ... الذي استقبلها ببرود شديد وأكد لها ان المسألة كلها لا تعدو مجرد مشاجرة بسيطة بين تلميذين نتج عنها احمرار عين حسام ! لم تقتنع الأم بكلمات المدير فذهبت إلى المستوصف لكي تطمئن على ابنها ... الا ان المدير حاول تهدئتها وما هي إلا لحظات حتى يرن موبايل المدير ... كان المتصل المعلم الذي حمل حسام الى المستوصف أبلغه بان الطبيب امر بنقله الى مستشفى ابن الهيثم الخاصة بالعيون وان إصابته شديدة مما يستلزم إجراء عملية جراحية عاجلة ... عنف المدير بشدة على كلام معلمه واخبره بأنه مدير وليس طبيب اختصاص بالعيون ... وطلب بعصبية من أمه ووالده أن يذهبا الى المستوصف ليطمئنوا على ابنهما .. ولم يقل لهما شيئا عن حالته ... وهناك كانت المفاجأة القاسية التي أفجعتهم ... الابن مصاب بنزيف حاد في العين اليمنى يستلزم إجراء عملية جراحية سريعة في مستشفى متخصص بالعيون ... وبالفعل حمل الأب ابنه وذهب به الى مستشفى ابن الهيثم للعيون وأجريت للتلميذ عملية ترقيع للعين بهدف الحفاظ على شكلها وحتى لا تظهر بأنها انطفأت .. استمر التلميذ بالبقاء بالمستشفى لمدة يومين بعدها خرج لا يرى بعينه اليمنى ... لكن الأطباء أكدوا بانه يمكن اجراء عملية جراحية مستقبلا لإعادة قرنية العين لطبيعتها لكن هذه العملية سوف تكلف كثيرا من المال ... لم يحتمل الأبوان ما حدث لطفلهما ... سقطت الأم على الأرض فاقدة الوعي من هول الصدمة .. وفي اليوم التالي ذهب الأب للمدرسة ليعرف عنوان بيت التلميذ احمد ليأخذ منه فصلا عشائريا وإضرارا لما حدث لابنه حسام ... اخبره المدير بانه تم فصل التلميذ احمد من المدرسة لكن الأب خرج من المدرسة وأسرع الى اخوته وذهب الى دار التلميذ احمد وهددهم بالقتل إذا لم يعوضوا عن ابنه ويسددوا له مبلغ العملية أضعافا مضاعفة ... وإلا القتل ، والد التلميذ حسام عرف بخطأ ابنه احمد وقام بالاعتذار من أبو حسام وقام بالواجب وأكثر ... حاول مرارا وتكرارا عقد صلح مع عشيرة والد حسام ... الا ان والد حسام رفض وأصر على ان يأخذ مبلغ العلمية والأضرار الاخرى التي ترتئيها عشيرته أضعافا ومربعا لقاء ما عمله احمد ... إدارة المدرسة لم تستطع ان تحل المشكلة عندما حدث الشجار بين التلميذين ... ولا الأبوان استطاعا حلها لحد الآن ... يمكن أن تحل بعد أن تهدأ النفوس ويتدخل أولاد الحلال !!

قيل وقال في المحاكم

راح الخيط والعصفور!!

□ بغداد/ المدى

أسرعت بالدخول الى غرفة القاضي وبدأت تتحدث بصوت عال ... سأتحدث يا سيدي بصدق وأمانة عما حصل لي مع هذا الحقير التافه !... عمري الآن سبعة وثلاثون عاما ، وفي سن مراهقتي الأولى تعرفت على هذا الذي لا يملك أي ذرة من أخلاق البشر المسلمين ولا من غيرهم ، كان وقتها يلاحقني ويضرب لي المواعيد حتى التقي به ، في مكان آمن من أعين الناس ليبوح لي بحبه وهيامه ... وبأنه يحلم بالساعة التي يراني فيها زوجة له، وفي أثناء الخلوة يبادلني القبلات ويكشف عن مفاتن جسمي الحساسة واقبل ، لأنه وعدني بالزواج وللحق أقول أن أكثر من صديقة نصحتني بالابتعاد عنه بما فيهن زوجته الأولى التي كانت صديقة لي ، وما كنت اصدق ، لانني أحببته بكل ما في قلبي من حب !... وفوجئت بطلبه يد صديقتي وتصبح زوجته ويتركني ... كتمت جراحات قلبي ... وأخفيت دموعي فما من فائدة ترجى بعد ، وقد تزوج ... لكن أخبار حبه لي ولقائي به سرا أصبح على كل لسان في المنطقة ... فما من خاطب تقدم إليّ بعدها ... واخذت اعمل ليل ونهار بمهنة الخياطة لعلي أنسى ما حصل لي وأتسلى.. ومرت سنوات وأنا لا اراه ولا يراني وقد انتقل مع زوجته الى مكان عمله ، وما كان يزور الحي الذي نسكنه إلا نادرا لزيارة أهله ! وفي احد الأيام ذهبت للسوق فوجدت نفسي أمامه وجها لوجه ... فلم أتمالك أعصابي وقتها فقلت له بعصبية : أهذا أنت أيها التافه الحقير ، وتفلت في وجهه ، ومضيت... ومرت أيام أخر ... أيضا وجدت نفسي أمامه ، وكأنه كان يتعمد هذا فضحك ضحكة ماكرة .. وقال يسخر مني ... أنا لا اصدق كلامك ... أنت ما زلت تحبينني والتي سلمت جسدها لي ووهبتني اعز ما تملك لا تنسى لذتي وإذا لم أتزوجها فقد تقع في غرام غيري ... ومضيت في طريقي أفكر بكلماته ... لقد تحطم أملي في الزواج من أي احد ... لأنني سلمته نفسي وجسدي يفعل ما يشاء بها !.. وبعد فترة استأجرت محلا في السوق لأعمل فيه خياطة للملابس النسائية ... وفي إحدى الأماسي وقف امامي داخل المحل وسلم علي سلاما أعاد الى مخيلتي ذكرياتي معه ، بل أعاد شريط مأساتي كله ... هز يدي وقال ... ما رأيك أريد ان اعوضك عما مضى ؟ فهل تقبلين بي زوجا ، فكري في ما بعد وسوف اتصل بك لأخذ موافقتك ! فاتحت أهلي بذلك ... رفضوا ذلك وحذروني منه وذكروني بما حصل لي بسببه ... هذه المرة أيضا لم التفت لنصيحة احد بل اتفقت معه على الزواج وان ادفع المهر من جيبي! ووقف كل أهلي في وجهي . وقالوا : انه خبيث وماكر لا تنخدعي بكلامه المعسول ... لا يريدك بل يريد الفلوس التي ادخرتيها طوال السنين الماضية ! فما أصغيت لأحد ... قلت لهم بصراحة ... ماذا تنتظرون مني أن افعل وقد فاتني قطار الزواج ؟ ... وافق أهلي وتم زواجي به ... واخذ يسلبني بحيلة تتلوها حيلة ما أكنت ادخر ، ومن المصادفة العجيبة أنني لم احمل منه ... تبين بعد الفحوصات أنني لن أنجب لأني مصابة بالعقم ... وقلت اخدم واربي ابناء زوجي ولي اجر في ذلك عند ربي ... لكن معاملته لي بعد أن ابتز كل ما ادخر أخذت تتغير ... شتم واهانات وضرب وشك وحين يأتي إلى فراشي لا يقترب مني أبداً ، وحين اطلب منه أن يأتيني كما يأتي الرجل زوجته ، يطلب مني أن يأتيني في دبري ! أهذا إنسان يا سيدي القاضي ؟ أفيه ذرة من الإيمان ؟ أيحق لكم أن تعتبروه مسلما ويقاضيني في محكمة شرعية ! شكواي إلى الله الذي لا يغفل عنه ولا عن أمثاله ، ممن لا يتورعون عن هتك الأعراض وفعل المحرمات وفضح بنات الناس ! في هذه الأثناء كان الزوج صامتا يعد حبات سبحته ومع كلماتها الأخيرة قال : اتقي الله .. استغفر الله مما تقولين ونظر إلى القاضي وقال سيدي إنها كاذبة فلا تصدقها ، لكنها امرأة تعودت الخطيئة من صغرها ! إنني ما كنت انوي العودة إليها وقد تزوجت بغيرها ولي أولاد كبار وهمٍ في سن الزواج ، لكنها هي التي رجعت لي وتوسلت بي لان أتزوجها لفترة من الزمن ، وكما اعترفت هي أمامك سيدي هي التي دفعت المهر وشراء الجهاز وتأثيث الغرفة إنها امرأة سيئة السلوك وتصادق من تشاء وتخرج من دون علمي ... هل هذه الزوجة شريفة يا سيدي ... إنها تخرج بدون علمي وتصادق الغرباء في محلها وقد يسر الطلب لها ولأمثالها أمر عدم الإنجاب مع وجود حبوب المنع !... نظر القاضي إلى الزوج نظرة احتقار وقال له : لماذا أمضيت هذا العمر وهي لم تتزوج إلا منك؟ لكن هانت عليك كرامتك فما وجدت مبررا مقنعا لتخلصك منها فادعيت هذا ... لقد فقدت الشرف والكرامة ... قررت التفريق في ما بينكما ... اكتفى الزوج بهز رأسه وهو يستمع ... ثم قال للقاضي : أنا أريد التفريق ومصمم على الطلاق!!

حديث الناس

أمي هي السبب.. جعلتني أكره الحياة وقررت الانتحار!

□ بغداد/ المدى

إيمان الصغيرة تقف على الشرفة في الطابق الثاني للعمارة.. تحاول الانتحار ... والدتها وشخص آخر يقفان وراءها ... الجيران يحاولون تهدئتها حتى لا تلقي بنفسها من الطابق الثاني ... بسرعة يتحرك احد الجيران ... يحاول الوقوف خلفها يهدئها ويسألها عن سبب انتحارها وتجيب الطفلة ... أمي هي السبب ... تضربني ... وتعذبني .. أنا أريد ان أموت لأتخلص من هذا العذاب ... وبسرعة يتدخل الجار الشهم ويتحدث معها ويوعدها بحل مشاكلها مع أمها ... تصمت الطفلة لحظات تنظر إلى الرجل المسن والدموع تنهمر من عينها وتنزل من أعلى سور الشرفة ... يتنفس الجميع الصعداء بعد أن عادت أدراجها ورجعت إلى بهو الشقة ... الجميع يركض وراء (إيمان) لمعرفة السر وراء هذا التصرف ... جاء والدها عندما سمع بمحاولة انتحارها وبدأت تروي له قصتها والدموع تنهمر من عينها ... أمي هي السبب ... جعلتني اكره الحياة واكرهها .. لأنها تعذبني وتضربني حتى تستقبل الرجال الغرباء في بيتك يا بابا ... لماذا تركتني بعد أن طلقت أمي .. لقد تغيرت أحوال أمي كثيرا ... بعد انفصالك عنها كانت تتركني أكثر ساعات اليوم وحدي في الشقة ... وعندما تعود يكون بصحبتها صديقها وآخرون يدخلون غرفة نومها ...تجلس معهم وحدها في غرفتها المغلقة .. وأنا خارج الغرفة أعيش وحدي ... لقد مللت من هذه الحياة وقررت الانتحار ... وتجيب الطفلة عن سؤال والدها لماذا لم تخبره بذلك ... حينما كنا نذهب الى بيت جدي كانت أمي تطلب مني الا أتحدث او أبوح بأي شيء يحدث داخل الشقة ... وكانت تعذبني حتى لا أتكلم لدرجة انها كانت تكويني بالنار وتضربني بقسوة حتى لا افضح أمرها ... أنهت الطفلة حديثها مع أبيها الذي اصطحبها الى مركز الشرطة ليسجل إخبارا ويتهم زوجته السابقة بتعذيب طفلته وجلب رجال غرباء إلى داخل الشقة للقيام بأمور لا أخلاقية ... بدأت الشرطة بجمع المعلومات عن سيرة الأم وعلاقاتها ... ليتبين أنها سيئة السمعة والسلوك وأنها كانت تعذب ابنتها بالكي بالنار وبقسوة وتستقبل في منزلها رجال غرباء لإقامة علاقات محرمة معهم ... وان الشخص الذي كان موجودا معها أثناء واقعة الانتحار كان يتردد عليها باستمرار ... والمفاجأة الأكثر إثارة حينما قالت الصغيرة ... إن والدتها كانت تطلب منها أن تعتبر هذا الشخص بمثابة والدها حينما يسألها أي شخص عن وجوده بينما رفضت هي وكانت النتيجة تعذيبها حتى ترضخ لأوامرها .. تم عرض الأوراق للقاضي المختص وأمر بحبس المتهمة وصديقها على ذمة التحقيق ... التقيت مع الطفلة ... كانت تبكي وهي تتحدث معي ... لم اكن أتوقع ان تكون هذه هي النهاية لامي أن تدخل السجن ... لكن هل هو ذنبي ام ذنبها ... أنا ضحية من ضحاياها ... لذلك كرهت الحياة وقررت أن اتخلص من نفسي ... أنا متألمة جدا لدخول أمي الى السجن وأنا السبب بكل ذلك ... ولكن ما اعمل أنا لا استطيع ان استمر بالحياة وارى ما تعمله أمي أمامي ... إنها تستقبل الرجال وتسهر معهم ... لقد دمرت حياتي ... التقينا بعدها بالام في سجن النساء وتحدثت إلي وهي نادمة ... نعم أنا قسوت عليها وانا أتحمل هذه النتيجة ... هو خطأي كانت تتوسل بي أن اتركها في بيت جدها ... لكن لم استطع ذلك ... تركتها تتعذب أمام عيني .. كل همي الدنانير لكي انفق عليها... تعرفت على رجال آخرين ... سهرت معهم ... لم أكن اعتقد ان بعملي هذا سوف أدمر ابنتي واحطمها .. أتمنى ان تسامحني ابنتي على ما فعلته معها ... حينما شاهدتها على أعلى الشرفة وهي تريد أن تقفز وتنتحر ... كنت أموت من الفزع ... غافلتني وصعدت الى اعلى الشرفة وظلت تصرخ لولا الجيران لكانت ابنتي ميتة الان ... انا ضعت ومستقبلي ايضا ضاع المهم ابنتي تبقى مع جدها ... بيت تهدم مرتين؛ المرة الأولى عندما طلق الزوج زوجته ... وفي المرة الثانية عندما دخلت الأم السجن !